الرقة الصلبة: الغموض كأداة في الدبلوماسية الصغيرة

يعالج المقال كيف يصبح الغموض أداة سيادية لا ضعفًا، ويربط بين تحليلات جوديث باتلر حول القول المقيد بالسلطة، ورؤية عبدالله بعبود للدبلوماسية الخليجية بوصفها ممارسة لغوية حذرة.

ما يُقال ليُفهم بأكثر من طريقة

الدول الصغيرة، في فضاء سياسي صاخب كمنطقة الخليج، لا تملك ترف الخطأ في التعبير، ولا رفاهية الوضوح القاطع. فتختار الغموض — لا كتهرّب، بل كأداة سيادية: تُبقي الباب مواربًا، وتصوغ العبارة بحيث تُحمَل على أكثر من معنى، وتُقرأ بأكثر من سياق.

إنها لغة لا تُقال لتُفهم فقط، بل لتُفسَّر لاحقًا بحسب مصلحة اللحظة. وفي هذا، لا تكون الدولة الصغيرة ضعيفة، بل مرِنة. ولا تكون أقل صوتًا، بل أكثر حذرًا في النُطق، وأشدّ صمتًا في ما وراء الكلام.

باتلر: القول كأداء سياسي مقيّد

في كتابها *Excitable Speech*، ترى **جوديث باتلر** أن القول ليس فقط ما يُنطَق، بل ما يُتاح لقائله أن يقوله ضمن بنية السلطة. كل عبارة، مهما كانت بسيطة، تمر عبر شبكات من الرقابة، التوقّع، والخوف من سوء التأويل. لهذا، يصبح الخطاب الرسمي عملاً أدائيًا دقيقًا — لا يحاول فقط إيصال المعنى، بل النجاة من تبعاته.

عند باتلر، الخطاب الحذر ليس دائمًا علامة ضعف، بل أحيانًا علامة وعي بحدود ما يمكن تحمّله في العلن. فالقول يفعل، نعم — لكنه قد يُكسر، أو يُساء فهمه، أو يُوظَّف ضد قائله.

عبدالله بعبود: السياسة الصغيرة وصياغة البقاء

يُبرز **عبدالله بعبود** هذه الفكرة من منظور خليجي–استراتيجي. فالدول الصغيرة، كعُمان وقطر والكويت، تمارس دبلوماسية لغوية محسوبة. الجملة الرسمية فيها لا تعبّر فقط عن موقف، بل تُصاغ بحيث لا تُغلق الاحتمالات. تُعلن موقفًا دون أن تقطع الصلة، وتُبقي للهامش مساحة تنفس دون التورّط في الاصطفاف.

في كتاباته، يشير بعبود إلى أن الغموض ليس مجرّد حياد، بل **شكل من أشكال الفعل الوقائي**: أن تقول ما يُفهم ولا يُلزم. أن تُشارك دون أن تُستدعى للمواجهة. أن تُبقي المعنى مفتوحًا، لأن الانغلاق فيه مخاطرة سيادية.

ما لا يُقال:

في الدبلوماسية الصغيرة، لا يكون الغموض ضعفًا، بل فضيلة مصاغة بلغة حسابية. وما يُقال لا يُقصد به الإفصاح، بل **ضبط المسافة** بين الموقف والتورّط. فحين تُتلى الجُملة بعناية، فهي لا تخفي شيئًا، بل تقول كل شيء — لمن يعرف كيف يقرأ التردد كلغة.